ترى كثيرا من فلاسفتهم وحكمائهم الممتازين بالعقل وممرفه التاريخ لا يزالون يحبون العرب ويعترفون لهم بمنة عليهم مع اختلاف الدين وبعكس ذلك بعض طوائف الاسلام ليس للعربي لديهم قيمة. وقد يقال اذا كان دين الاسلام قد اتى باكمل التعاليم السياسية والاجتماعية وان السلاطين المسلمين تركوها لعدم مناسبتها لطبائعهم الشهوانية فما بال الخلفاء الراشدين لم يجمعوها ويرتبوها ويفرعوا عليها وهل عملوا بها ام لا ؟ ويقال في الجواب ان مثل هذا الاعتراض يمكن ان يقال في اشياء كثيرة والجواب عن بعضها هو الجواب بعينه عن باقيها كان يقال ايضا ولم يجمعوا أحاديث النبي صلعم ولم لم يشرحوها ولم لم يفسروا القرآن ولم لم يرتبوا أصول الفقه الى غير ذلك مما اعتنى بجمعه وتدوينه المتأخرون وذكر الجواب عن ذلك العلماء في شروح الحديث عند ذكر البدع وجوابهم هناك هو جوابنا عن هذا الاعتراض ولنا أجوبة اخرى ليس هذا محل ذكرها اما الشق الثاني وهو ان الخلفاء هل عملوا أم لا فيقال لعمر الله انهم عملوا وأرشدوها فجازاهم عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وسيأتي لنا نقل بعض سيرتهم

(لها بقية)

باب التربية بالتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

في التربية بسفر البحر

يوم ١٤ مارس سنة ١٨٦٠

اضطرتنا الريح الى ان نجتاز خليج بسكاي (١) وقد اتكدلي الربان انه وامثاله يحامون ما استطاعوا التورط في هذا الخليج الذي يهاب اسمه الملاحون انفسهم وهو على شدة تلاطم الامواج فيه لم يعق السفينة عن المسير وربما حدا بي ذلك الى اعتقاد

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر.

(١) خليج بسكاي ويسمى أيضا خليج قسقوني هو خليج في المحيط الاطلانطيقي واقع غربي فرنسا وشمالي أسبانيا

ان من البحار ماهو كبعض الناس في كونها امثل مما اشتهرت به

منذ بضعة ايام أتيح لي فراغ من عملي فشغلته بدرس سفينتنا فاذا هي دنيا صغرى تطفو على الماء جعلتها جميع العلوم والصنائع ميقاتا لاجتماعها . ترى الملاح فيها يلجئه عوزه الى استئناف التمدن كل يوم فكأنه روبنسن (٢) في جزيرته يخترع معظم الفنون النافعة ليستفيد منها. ذلك انه لخلوه من الصاحبة يتولى بنفسه غسل ثيابه وفرشه واصلاحها وتدلك نظافة حجرته دلالة كافية على ما سيكون عليه بيته الخلوي في مستقبله فقد أوتي هذا الليث البحري من غرائز العناية بالبيت ما أوتيته النملة

من مزايا السفينة ايضا انها تؤدي الى كل من ترتاح نفسه للعمل من ركابها عملا يشغله فقد عاود قوبيدون الاشتغال بالطهاية التي سبق له ان شرف باجادتها في أسفار سالفة وجعلت زوجته قهرمانة (٣) واختصت هيلانه بمساعدتي في التمريض وبالعزف على البيانو تسرية للسآمة عن المسافرين وتقوية لقلوبهم وقلوب الملاحين أنفسهم الذين يجتمعون كل ليلة على السطح لاستماعه

جاز «أميل» التمرينات الاولى وصارت قدمه قدم بحار وأنشأ يتسلق سلالم الحبال التي على جانبي السفينة وهو يؤدي الاعمال التي يعلمه الملاحون تأديتها بما يكفي من الحذق المنتظر من غرّ مثله. ومعيشة المتعلمين البحريين أمثاله في سفينة تجارية على مافيها من التعب والعناء معيشة صحية فان تعرضه لنسيم البحر يشهي اليه الطعام حتى انه ليكاد يلتهم حوتا من الحيتان المسماة بالكلاب البحرية لو قدم اليه ولله خفته ونضارته في قميصه الازرق ذي الطوق المنكسر الذي يبين نحره . جاءني غدوة اليوم أثر عمل شاق بالنسبة لطفل مثله وألقى برأسه بين ركبتي وهي يتصبب عرقا فاحببت ان أشجعه لأأن أطريه لأن الاطراء هو سم النفوس يفرط فيه الآباء لابنائهم بما يبعثهم عليه من الرحمة العمياء فهم بذلك يعودونهم على ارضاء غيرهم وكان حقا عليهم في رأيي ان يعلموهم إرضاء وجدانهم. من أجل هذا اقتصرت على ضم ولدي الى صدري وتقبيله غير اني أحسست حينئذ بالعبرة في عيني وهو على كل حال قد اعتبر هذه الملاطفة

(٢) يومي الى روبنسن كروزو صاحب القصة المشهورة الذي كان في سفينة مقفرة يخترع كل ما يحتاج اليه من أسر المعيشة (٣) القهرمانة الوكيلة

في مدحاله لانه انصرف من عندي للمضي على عمله ملوء القلب بالفرح ولا اخال أحدا ينكر استحقاقه لهذا المدح أي لتلك الملاطفة

ليس في السفينة أحد الا وهو يهتم بان يكون نافعا من جهته حتى « لولا » فقد فاجأتها بالامس وبيدها كتاب كانت تطلع عليه طفلة في الخامسة من عمرها اتخذتها صديقة وتعلمها فيه الهجاء اه

يوم ١٩ مارس سنة ـ ١٨٦

نحن الان نجاد جزيرة مادبرا تجري بنا السفينة بريح طيبة كانت من بداية سفرنا تهب من الشمال الشرقي وقد أحدقت بنا في هذا المكان قطعان عديدة من الخنازير البحرية وأنشأت تمرح في الماء وتلهو بالزبد المتخلف على غوارب الامواج من انشقاقها بمجزوم السفينة في مسيرها فبادر جميع الركاب الى السطح لمشاهدتها وكان من « لولا » عند ما رأتها ان قالت : ويكأن هذه الحيوانات مقترنة بمعيشتها وكأنها لم تصب بمرض البحر في حياتها

استعد ضباط السفينة لصيدها فوقف أحدهم عند الساري المقدم ورمى خطافا كان معه على واحد منها ظن ان أصابته أيسر وحينئذ جر الملاحون الحبل المعلق به الخطاف وهم في هذه الحالة يجب ان يكونوا خفاف الايدي أشداء السواعد والا وجد الخنزير المصاب وسيلة للرجوع الى الماء والانفلات من أيديهم وقد نجحوا في الرمية الثانية فاصطادوا أحدها ومما شاهدته فيه ان كبده يشبه كبد الخنزير البري ولحمه أقل جودة من لحم الثور على انه يحضره في الذهن ان لم يكن بطعمه فبلونه لانه أحمر ضارب الى السواد ويستخرج من لحمه زيت جيد للاستصباح يستعمل في السفينة اه

يوم ٢٢ مارس سنة ـ ١٨٦

نحن الان مارون امام الجزائر الخالدات وان كنا لم نرها وهي مرتسمة على سطح الماء المتسع الاكرؤيا الحالم وقد اضطرتنا الرياح المتعارضة الى التوغل في المحيط

انا منذ سفرنا نشعر بارتفاع الحرارة ارتفاعا عظيما غير ان هذا اليوم هو أحر يوم أحسسنا فيه بدخولنا اقليما غير اقاليمنا حتى ان « لولا » نفسها على مابها من شدة التأثر بالبرد خلعت ثياب الشتاء وارتدت ثوبا رديا

كان غروب الشمس بالامس من أجمل المناظر وأبهاها وكان الليل فخما والقبة السماوية المظلمة تزهو بلألاء النجوم التي هي كالرمل عددا ومالي وذكر أسمائها فلا فائدة في ذلك ويكفيني ان أسميها بالنور وعما ميزناه منها الزهرة التي مع كفها عن دعوى الالوهية واقتناعها بان تكون في مصف الكواكب لم يضل عنها ميلها الى التفنج الأنثوي فلا تزال تحب ان ترى نفسها في مرآة البحر

في نحو الساعة الرابعة أو الخامسة من الغداة انشق النطاق الاسود الذي كان مشدودا حول الافق يلأم السماء بالماء رويدا رويدا ثم بدا من بين حافتيه ضوء مخضر يحاكي ماء البحر في لونه فانتشر على الامواج وهو ضوء الفجر وساعة طلوع الفجر في العروض التي نحن فيها الآن من الساعات المشهورة على قصرها وقصر مدة الشفق أيضا فإنه يخيل للرائي فيها ان العالم باسره مضاء بالكهرباء وربما كان قصر مدة الشفقين سببا في ذلك

مما حملناه معنا في السفينة ديك صغير وضعفاء مع دواجن اخرى في أحد أقفاصها اسمعنا صياح التنبيه والايقاظ ثلاث مرات فكان لصوته الشبيه بصوت البوق في نفوسنا تأثير محزن قابض بسبب احوال الغربة التي نحن فيها وكان يسري الى القلوب بلا عائق لانه كان يذكر المسافرين باوربا هم القديمة وأراضيها ومعيشة المزارع وما يعالجه المزارعون من الاعمال الشاقة

ثم تتابع انمحاء الكواكب من السماء فأخذت تنطوي في أعالها وتصطبغ باللون الازدرخي

ثم اشرقت الشمس فاذا الامواج أنفسها وقد ملكها الاجلال وتولاها الاعظام يخيل أنها خشعت لهذا الينبوع الذي هو مصدر الضياء والحياة وصارت السماء كلها جذوة نار وترقرقت سبحات من النور الذهبي على صدر المحيط الذي برزت منه الارض بالتدريج تتلألأ بهاء ونضرة

لم يقع بصري على «أميل» و«لولاء» مثالا في هذه الساعة وحدها من النهار رأيتهما جاثيين جثية عبادة واستغراق في المشاهدة فليت شعري هل اقترب كلاهما في تلك الساعة من ادراك معنى الالوهية بمراقبة جمال الكون وبهائه ؟ اه